دِرَاسَةُ التَّفَاسِيرِ ومَنَاهِجِها

بحث مقدّم

لمؤتمر مثاني للتَّفسير

وزارة الأوقاف والشئون الإسْلامية ـ الكويت

1444 ه- 2023 م

كتبه

د. مُحَمّدُ بن حَمد مُحمّد النَّجْدي

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف- باحث شرعي ومؤلف- مدرب معتمد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

إنّ الحمدَ لله، نحمدُه ونَستَعينه ونَستغفره، ونعوذُ باللهِ منْ شُرور أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، منْ يهْده الله فلا مضلّ له، ومنْ يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آلِ محمد، كما صليتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ.

وبعد:

فإنّ علمَ تفسيرِ القرآن العظيم، مَنْ أشرفِ العُلوم الإسلامية، وأرفعها قَدراً، لارتباطه بكلام الله عزّ وجل، الذي هو أعظمُ الكلام، وأشْرفُه وأعْلاه، وأحْكمُه وأعلمه، وقد أنْزَله الله تعالى إلينا نُوراً وهدى، وبياناً للحقّ وأهله، ومَوعظةً وعبرة، وحِكمةً وزكاة، وسَعادةً ونجاةً في الدنيا والآخرة، لمن اتّبعه واهتدى به، وفعلَ ما أُمرَ به فيه، واتَّبعه بقَدْر اسْتطاعته.

والاشتغالُ بكتابِ الله عزّ وجل وعُلومه، وتلاوته وفَهْمه وتدبّره، شرفٌ ورفعةٌ لصاحبه في الدنيا والآخرة.

فعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ لله أهلينَ مِنْ الناس"، قالوا: يا رسولَ الله، مَنْ هُم؟ قال: "هُمْ أهلُ القُرآنِ، أهلُ الله وخَاصّته". أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة.

والمفسّرونَ لكتابِ تعالى، هم الجَديرون لأنْ يكونوا أهلَ الله وخاصّته، لأنّهم أعلمُ الناس بكتاب ربّهم جلّ جلاله، وتقدَّست أسماؤه، ومعانيه وأحكامه.

وقال تعالى: (يُؤتي الحِكمةَ مَنْ يشاء ومنْ يُؤت الحكمة فقدْ أُوتي خيراً كثُيراً) البقرة: 269.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: يعني المَعرفة بالقرآن، ناسخه ومَنْسوخه، ومُحْكمه ومُتشابهه، ومُقدّمه ومُؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

وأخرج ابن أبي حاتم: عن عمرو بن مُرة قال: ما مَرَرتُ بآيةٍ مِنْ كتابِ الله لا أعُرفها، إلا أحْزَنتني، لأنّي سمعتُ الله تعالى يقول: (وتلكَ الأَّمثالُ نَضربها للنَّاسِ وما يَعقلها إلا العَالِمون) العنكبوت: 43.

وبيَّن اللهُ تعالى أنّه إنّما أَنْزلَ الكتاب، ليُتدّبّر ويُفْهم، فقال: (كتابٌ أّنزلناه إليك مباركٌ ليدَّبَّروا آياته وليتذّكَّر أولُوا الأّلباب) ص: 29.

وحثَّ عبادَه على تدبّره، فقال: (أّفلا يتدبَّرونَ القرآنَ ولو كانَ مِنْ عندِ غيرِ اللَّه لوجَدُوا فيه اخْتلافاً كثُيرا) محمد: 82.

وذمّ المُعْرضين عن فَهْمه وتدبّره، والعِلم به، والعَملِ بأوامره، وتركِ زَواجره، فقال: (أفلا يتدّبَّرون القرآن أّم على قلوب أّقفالهّا) محمد: 24.

قال مُجاهد: أحبُّ الخَلقِ إلى الله تعالى، أعْلَمُهم بما أَنزل.

وقال الحسن: واللهِ ما أنْزلَ اللهُ آيةً، إلا وهو يُحبُّ أنْ تُعلم فيما أُنْزلت، وما أراد اللهُ بها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في "مقدمة تفسيره": "فالواجبُ على العُلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطَلَبه مِنْ مظانّة، وتعلّم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: (وإذْ أخذَ اللهُ ميثاقَ الذينَ أُوتُوا الكتابَ لتبيننّه للناسِ ولا تَكتُمونه فنبذُوه وراءَ ظهورهم واشْتروا به ثمناً قليلاً فبئسَ ما يَشترون) آل عمران: 187.

وقال تعالى: (إنّ الذين يَشترونَ بعهدِ الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خَلاقَ لهم في الآخرة ولا يُكلمهم اللهُ ولا ينظرُ إليهم يومَ القيامة ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليم) آل عمران: 77.

فذمّ اللهُ تعالى أهلَ الكتاب قَبْلنا، بإعْراضهم عن كتابِ الله المُنزّل عليهم، وإقبالهم على الدُّنيا وجَمعها، واشْتغالهم بغيرِ ما أمِروا به منْ اتباع كتاب الله".

ثمّ قال: "فعلينا أيها المُسْلمون؛ أنْ نَنْتهي عمّا ذمَّهم الله تعالى به، وأنْ نأتمرَ بما أمَرنا به، مِنْ تعلّم كتابِ الله المنزّل إلينا وتَعْليمه، وتفهّمه وتفهيمه، (ألم يأنِ للذينَ آمنوا أنْ تخشعَ قلوبُهم لذكر الله وما نزلَ من الحقّ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطالَ عليهم الأمدُ فقَستْ قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون * اعلموا أنَ الله يحيي الأرضَ بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) الحديد: 16، 17.

قال: ففي ذِكْره تعالى لهذه الآية بعد التي قَبْلها، تَنبيهٌ على أنّه تعالى كما يُحْيي الأرضَ بعدَ مَوتها، كذلك يُلين القلوبَ بالإيمانِ والهُدَى بعد قَسْوتها، مِنَ الذُّنوب والمعاصي، والله المُؤمّل المسئول أنْ يفعل بنا هذا، إنه جواد كريم". انتهى كلامه رحمه الله.

وممّا لا شكّ فيه أنّ علماءَ التفسير قد بذلوا جُهوداً مَشْكورة في خِدْمة كتاب الله عزّ وجل، فبيَّنوه للأنَام، وقرّبوه للأفهام، وبذلوا فيه الأعْمار، وخاضُوا في سبيل ذلك غِمار الأسْفار.

ومع هذه العَناية العظيمة، وذلك الاعْتصام، فعلماءُ التفسير ليسُوا سَواء؛ فلكلّ مفسّرٍ منْهم منهاجٌ ينتهجه، وطريقٌ يسير عليه، وخُطّة يسير عليها في بيانه لكتاب الله عز وجل.

والمكتبات الخاصّة والعامّة مليئةٌ بكتبِ التفسير، وحاجة المُسْلمين لها بعامّة، وطلبة العلم بخاصّة، حاجة ماسّة ومُلّحة، ولا بدّ مِنَ الوُقُوف عليها، والتعرّف مِنْ خلالها على مزاياها وخَصَائصها، ومناهج أصْحابها.

ودراسة التفاسير العَصْرية المَشْهورة، وخصائصها مِنَ النواحي العقدية والمَنهجية، والحديثية؛ والفقهية؛ واللغوية الأدبية؛ وغيرها، وكذا بيان موقف مُصنّفيها من العقيدة السلفية، عقيدة أهل السّنّة والجماعة، وفيما يتعلّق بالأسماء والصّفات خُصوصاً، وذلك أنّ بيانَ مذهب المُفسّر في "الأسماء والصفات"؛ يدلّ على التزامه بباقي المذهب، كالإعْتزال، أو الأشْعريّة، أو التّصوف، أو الحَرُوريّة، أو الإماميّة... وغيرها.

تمهـــيد

تنوّعت المَصادرُ التي اسْتقى منها المُفسّرون مناهجهم، لفَهم كتابِ الله تعالى، والتَّعرّف على حِكَمه وأحْكامه، والوقوف على دَقائقه وأسْراره، وإبْرازها للمُسْلمين وإظْهارها، للعِلم والعَمل بها، والظّفر بخيري الدُّنيا والآخرة.

ولمّا اعتمدَ المُفسّرونَ على مصادر عدّة في التفسير، كانت مناهجهم مُتعدّدة، بتعدّد تلك المصادر.

والكلام عن مناهج المُفسّرين؛ مِنَ العُلُوم المُهمّة والمُفيدة للعامّة والخاصّة، لأنّ التفاسير لكتاب الله جلّ وعلا قد كثرتْ جدّا، حتى بلغتْ أكثر مِنْ مائةِ تفسيرٍ مطبوع وموجود بين أيدينا اليوم، والتي لم تُطبع أيضاً كثيرة، والتفاسير المَفقودة كثيرةٌ أيضاً.

وطالب العلم خاصة، والمُسلم عُمُوماً، يحرصُ على معرفة معاني كلام الله جلّ وعلا، فلا بدّ له أنْ يعلمَ مَنَاهجَ المُفسّرين وطرائقهم في التفْسير، حتى إذا راجعَ تفسيراً لأحدِ المُفسّرين، عَلِم ما يَتَميّز به ذلك التفسير عن غيره، وعَلِم اسْمَ المؤلف، وعصره وبلده، ومنهجه وطريقه، عقيدة وفقهاً وحديثاً ولغة وغيره.

*** تعريفُ مَناهج المُفسّرين:**

فالمناهج: جمعُ مَنْهَج، والمنهج والمِنْهاج والنّهج؛ هو: الطّريق الواضح.

والمقصودُ بمناهج المُفسّرين: الطّرائق والخَصائص التي يتميّز بها كلُ تفسيرٍ عن غيره.

فمناهج المُفسّرين مُصْطلح يشيرُ إلى الخُطط التي يَسير عليها مُفسّرو القرآن الكريم في تفاسيرهم، وتَنْعكس على كتاباتهم فيها، بحيثُ يتبيّن طريقة المُؤلّف في تفسيره، وبيانَ مصادره ومذهبه، ومكانته العلمية، وقيمة تفسيره، ومُقارنته بغيره.

ولمعرفة مناهج المفسّرين أهميّةٌ كبيرة للدارسين في عِلْم التفسير، كما أنّ له قواعدَ لمعرفة هذه المناهج والتمييز بينها، وتُفيد أيضاً في إبْراز إيجابياتِ الكتاب الذي يَدرسه، وكيفية الاسْتفادة منْها، والملاحظ والمَآخذ عليه.

*** كيفَ نَعْرفُ مَناهجَ المُفسّرين؟**

لمعرفة منْهج المُفسّر أحد طريقين:

الطريق الأول: أنْ ينصّ المُفسّرُ على مَنْهجه في أول تفسيره مع خُطبة الكتاب، كما فَعله البغوي؛ وابنُ كثير؛ والقُرطبي؛ وأبو حيّان وغيرهم، أو أنْ ينصّ عليه في مَوضعٍ آخر، أو مواضع مُتفرّقة مِنْ تفسيره.

الطريق الثاني: أنْ يُعلمَ مَنهجُه عن طريق الاسْتقراء والبحث.

فإذا اسْتقرأ الباحثُ تفسيراً مِنَ التفاسير، بأنْ كرّرَ النظر وقلّبه فيه؛ عَرَف طريقة ذلك المُفسّر، ومنهاجه الذي يسير عليه، والخطّة التي يَسْلكها، والتي انعكست على تفسيره الذي كتبه، وصارتْ واضِحة فيه، سواء كان ذلك في العقيدة أو الحديث أو الفقه أو اللغة والنحو، أو الإسرائيليات؛ وغيرها من الأبواب.

وكلما كان الاسْتقراء أوْسع، وذلك بتتبّع التفسير مِنْ أوله إلى آخره، كان للصّحّة والصّواب أقرب.

ولا يصحّ لمَن قَرَأ مِنَ التفسير صفحةً أو صفحتين أو ثلاثة، أنْ يَحْكم على التفسير كلَّه؟! إلا أنْ يكون قد اعتمد على مَنْ سبقه إلى دراسة الكتاب؛ والنّظر فيه، من الباحثين والعلماء، وذكر ما له وما عليه.

*** أهميّةُ مَعْرفة مَنَاهج المُفسّرين:**

مناهجُ المُفسّرين تقدّم للباحثِ القواعد والضّوابط، والآداب والتوجيهات، التي لا بدّ منْها في عِلم التفسير، كما تقدّم له الأسُس المَنْهجية والمَوضُوعية التي لا بُدّ مِنَ الانطْلاق منها في عِلم التَّفسير، وهي تحدّثُ الدَّارس عن نشْأة عِلم التفسير، ومدارس التّفسير واتّجاهاته في العالم الإسْلامي، وتُعرّفه على أشْهر التّفاسير، وأئمة المفسّرين، مِنَ السّابقين والمُعاصِرين، وتُحدّد له مَناهجهم وطَرائقهم في التفسير، وبذلك يكونُ للدَّارس إلمامٌ بعلمِ التّفسير، ومناهجه ورِجاله، وتُراثه والمَصنّفات فيه، وهذا يُحفّزه على الدراسة المُفصّلة لكتب التفسير.

*** فوائدُ البَحْث في مناهج المُفسرين:**

يُمكن أنْ نلخّص الفوائد فيما يلي:

1- إبْرازُ القِيمة العلميّة للتفسير، وهل هو تفسيرٌ مُهمٌ، أم أنّ غيره يُغْني عنه ويكفي.

2- إبْراز خَصائص التّفسير، وما تميّز به عن غيره من التفاسير، وكيفية الاسْتفادة منه.

3- إظْهار المُلاحظات على التفسير أو المُفسّر، والأخطاء التي وقع فيها، ليتجنّبها القارئ.

*** الكتبُ التي تكلّمت عن مَنَاهج المُفسّرين:**

ونكتفي بكتُب المُعاصرين، فمنها:

1- التّفسيرُ والمُفسّرون، للدكتور/ محمد حسين الذهبي.

مطبوع في ثلاث مجلدات ومتداول، ونشرته أكثر من دار.

2- مناهج المفسرين. للدكتور/ مصطفى مسلم.

مطبوع في دار المسلم.

3- مناهج المفسّرين، للدكتور/ أحمد بن محمد الشرقاوي.

مطبوع في (232) صفحة، مكتبة الرشد.

4- مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، للدكتور/ محمود النقراش السيد علي.

مطبوع في (166)، مكتبة النهضة.

5- بهجة الناظرين في مناهج المفسرين، للدكتور/ توفيق علوان.

الطبعة 1426هـ، مكتبة الرشد.

6- مناهج المفسرين للدكتور/ منيع عبد الحليم محمود.

دار الكتاب المصري.

7- مناهج المفسرين للدكتور/ مساعد مسلم آل جعفر.

دار المعرفة.

8- التفسير والمفسرون في العصر الحديث، للدكتور/ عبد القادر محمد صالح.

مطبوع في (492) صفحة، دار المعرفة.

9- التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، للدكتور/ محمد بن رزق بن طرهوني.

مطبوع في مجلدين، دار ابن الجوزي.

10- دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، للباحث/ حسن يونس حسن عبيدو.

مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

11- القولُ المُختصر المُبين في مناهج المفسرين، لكاتب الورقة.

طبع أولا عام 1412 هـ، ثمّ طبعة جديدة مزيدة هذا العام 1444هـ.

تنوّع كتُب التّفسير

كتبُ التّفسير، في تفْسير القرآن الكريم، كتَبَها عُلماءُ المُسْلمين على اختلافِ العُصور الإسْلامية، وقد تنوّعت فيها اهتمامتُهم واخْتصاصاتُهم، والمَناهج التي اعْتمدُوها في تفسيرهم للقرآن، ومنْ حيثُ المَصادر التي يُسْتمد منها التّفسير، وهي تنقسمُ إلى قسْمين: التفسِير بالمَأثور، والتفسير بالرّأي، ويدخلُ تحتَ التّفسير بالرأي كل أنواع

التّفسير بالرأي المَحمود، والمَذْموم، بسائرِ اتجاهاته الفِقْهية، والبلاغيّة، والأدبيّة، والصّوفيّة، والتحليلية، والإجْمالية، والعلمية، وغير ذلك.

وبهذه الاعْتبارات؛ يُمكن على ضَوءها تقسيم التّفاسير، ويمكن لتفْسيرٍ أنْ يُدْرج تحتَ أكثر مِنْ قسمٍ مِنْ هذه الأقسام، وبتفصيلٍ أكثر نقول:

*** نَوْعَي التَّفسير:**

ظَهرتْ مدرستان في التفسير: إحداهما: مدرسة التفسير بالأثر، والأخْرى: مدرسة التفسير بالرأي.

فمن تفاسير العُلماء التي تَنْتمي إلى مدرسة التّفسير الأثَري: تفسير الطّبري، ثمّ البغوي، وابن كثير، والدُّر المَنْثور، وغيرها...

·التفسير بالرأي:

ومعناه: التّفسير بالاجْتهاد والقياس والاسْتنباط.

والاجتهادُ والرأي قِسْمان:

اجتهادٌ محمودٌ. واجْتهادٌ مذمومٌ مَرْدُود على صاحبه، وقد جاء عن النّبي صلى الله عليه وسلم في غير ما رواية، حسّنها بعض أهل العِلم وضعّفها آخرون، أنّه قال: "مَنْ قالَ في القُرآن برأيه، فليَتبوّأ مقْعَده مِنَ النار". رواه الترمذي وغيره.

ففيه ذمّ التّفسير بالرأي، وفيه الوعيد إنْ فسّر القرآن برأيه، أنّه يتبوّأ مقعده مِنَ النار.

قال العلماء: هذا مَحمولٌ على أنّ التفسير بالرأي إذا كان عنْ هوى، وعن انْحراف عن المَقْصود، فإنّه يتبوأ مَقعداً منَ النار.

ولا يَدخل في ذلك: مَنْ قال بالاجْتهاد والاستنباط، لئلا يلزم مِنْ ذلك ذمّ الصّحابة على اجْتهادهم في التفسير،

وذلك أنّ الصّحابة اجْتهدوا في التفسير، وقالوا فيه بأشياء لمْ ينقلوها عن النّبي صلى الله عليه وسلم، فيكون قوله عليه الصلاة والسلام: "مَنْ قال في القُرآن برأيه، فليتبوأ مَقْعده من النار"، محمولٌ على من فسّره عن هوى، كقول أهل الفِرق المُنْحرفة، كالمرجئة والقدرية والخوارج والمعتزلة والأشاعرة، وأشباه هذه الفرق.

***وأما رواية:** "منْ قالَ في القرآن برأيه، فقد أخْطأ وإنْ أصَاب"، فقال العلماء معناه: مَنْ قالَ في القرآن برأيه؛ وكان رأيه عن جهلٍ لا عن علم، فوافق الصواب اتفاقاً، لا عن علمٍ ويقين، فهذا وإنْ أصابَ المعنى الصّحيح، لكنّه أخطأ، وهو متوعّد، لأنّه تجرّأ على القرآن، ففسّره بغير علم.

***ومدرسةُ التَّفسير بالرأي لها اتّجَاهان:**

الأول: مَنْ فسّرَ القرآن بالرأي الناشئ عن هَوى وبِدْعة، كما فسّرت المُعْتزلة والجهمية، والخَوارج والإباضيّة والرافضة، والأشاعرة والماتريدية القرآن الكريم، بآرائهم وأهْوائهم، وتركوا تفاسيرَ السّلف إلى تفاسير مُحْدثة، فهؤلاء مَذْمُومون، لأنّهم فسّروا القرآن برأيٍ لا دليلَ عليه، ولا حُجّة لهم فيه، وإنّما نَشَأ ذلك التفسير عنْ هوى وابتداع، فهذا رأيٌ مَذْمومٌ ومَرْدودٌ على صاحبه.

وكذا لو كان قولًا بغيرِ علمٍ، أو عَلْم غير تامّ، ونشأ عن الجَهل.

وقد ردَ النَّهيُّ عن كلّ هذا في كتاب الله تعالى، وسُنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، كما ورد نهيُ السّلف عنه.

أمّا منْ كتابِ الله ففي آيات:

1- كما في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) الأعراف: 33.

2- وقوله تعالى: (وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ* إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) البقرة: 168- 169.

3- وقوله تعالى: (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) الإسراء: 36.

ففي هذه الآيات نهيٌ وتشنيعٌ على القولِ على اللهِ بغير علم؛ ففي الآية الأولى جَعَله مِنَ المحرّمات، وفي الآية الثانية جعله مِنْ اتّباع خُطُوات الشيطان، وفي الآية الثالثة جَعله منهيّاً عنه.

وفي هذا كلِّه دليلٌ على عدم جواز القول على الله بغير علم.

وأمّا في سُنّة الرسول صلى الله عليه وسلم:

فمنها ما ورد في قوله: "إنَّ الله عزّ وجلّ لا يَقبِض العلمَ انتزاعاً ينتزعه مِنَ الناس، ولكنْ يَقبِض العلماءَ، فيُقبَض العلمُ، حتى إذا لمْ يَترك عالمـًا، اتّخذَ الناس رُؤساء جُهّالًا، فأفتَوا بغيرِ عِلْم، فضلُّوا وأضلُّوا". رواه البخاري في كتاب الاعتصام، وتَرجم له بقوله: بابُ ما يُذكَر من ذمِّ الرأي وتكلُّف القياس.

وأمّا ما ورد عن السّلف، فمْنها:

- ما جاء عن ابن أبي مليكة قال: سُئِلَ أبو بكر الصّديق رضي الله عنه: عن آيةٍ مِنْ كتاب الله عزّ وجل، فقال: "أيُّ أرْضٍ تُقلّني، أو أيُّ سَماءٍ تُظلّني، أو أينَ أذْهبُ، وكيفَ أصْنع، إذا أنا قلتُ في آيةٍ مِنْ كتابِ الله بغيرِ ما أرادَ الله بها؟".

أخْرجه سعيد بن منصور في "فضائل القرآن" منْ سننه (1/ 39) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفصله.

- ما ورد عن الفاروق عُمر رضي الله عنه في قوله لشُريح -لـمّا بَعثه على قضاء الكوفة-: "انظرْ ما تبيّن لك في كتاب الله؛ فلا تَسْأل عنه أحداً، وما لمْ يتبيّن لك في كتاب الله، فاتّبع فيه سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما لمْ يتبيّن لكَ فيه سُنّة، فاجْتَهدْ رأيك". "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر (2/ 71).

- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يا أيُّها النَّاسُ مَن علِم شيئاً فلْيقُلْ به، ومَنْ لَمْ يعلَمْ شيئًا فلْيقُلِ: اللهُ أعلَمُ، فإنَّ مِنَ العلمِ أنْ يقولَ الرَّجُلُ لِمَا لا يعلَمُ: لا أعلَمُ، فإنَّ اللهَ جلَّ وعلا قال لنبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) ص: 86. متفق عليه.

الثاني مِنْ مَدْرسة التّفسير بالرأي:

مَنْ فسّر القُرآن بالاجْتهاد والاسْتنباط، وكان اجْتهادهم واسْتنباطهم صَحيحاً، وفق الضوابط الشّرعية، وهذا إنّما يَسوغ إذا كمل لدي المفسر شروط التفسير بالاجتهاد والاسْتنباط.

وقد جَمَع العُلماء الشّروطَ التي بها يَجوز للمُفسّر أنْ يُفسّر القرآن بها، بالاجْتهاد والاسْتنباط فيما يلي:

شُرُوط التَّفسير بالرأيّ المَحْمُود:

* **الشّرط الأول:** أنْ يكونَ عالماً بعقيدةِ السّلف ومِنْهاجهم، لكي يَسْلم مِنْ آراءِ الجَهميّة والخَوارج والمُعتزلة والقدريّة والمرجئة ... إلى آخر تلك الفرق.

* **الشّرط الثاني:** أنْ يكونَ عالماً بالقرآن، حافظاً له، يُمكنه أنْ يُفسر القُرآن بالقرآن، وحَبذا لو كان عنده علم بالقِراءات.

* **الشَّرط الثالث:** أنْ يكونَ عالماً بالسُّنّة النّبويّة، حتى لا يَجْتهد في تفسيرِ آية، خلافَ المَنْقول عن النّبي عليه الصّلاة والسلام فيها.

* **الشّرط الرابع:** أنْ يكونَ عَالماً بأقْوال الصّحابة، حتى لا يُحْدث تفسيراً على خِلاف تفسير الصّحابة، فيحكم ببطلانه، لإجماع الحُجّة مِنَ الصّحابة على خلافه، فيكون القول به مُحْدثاً على خلاف أقوالِ الصحابة.

* **الشّرط الخامس:** أنْ يكونَ عَالماً بأحْوال العَرَب وعُرْفهم، حتى لا يُنزلَ آياتِ القرآن على غيرِ تَنْزيلها.

* **الشّرط السّادس:** أنْ يكونَ عالماً باللُّغة العربية، بنَحْوها ومُفْرداتها وصَرفها، وبعلم المَعاني مِنْ عُلوم البلاغة.

هذه هي أهم الشَّروط التي ذَكَرها أهلُ العلم.

*** نظرةٌ سَريعةٌ في تفاسِير الرّأي:**

ويُمكن أنْ نُجْملَ التفاسير التي تَنْتمي لمدرسة التَّفسير بالرأي، إلى أرْبع مدارس كبْرى:

* **المَدْرسة الأولى:** فَسّرت القرآن بحسبِ العَقائد التي تَنْتمي لها، وهي مدارسُ مُتنوّعة، فكلّ أصْحاب عقيدة؛ خاضُوا في تَفْسير القرآن على حَسْبِ اعْتقادهم ومِنْهاجهم؟!

فالمُعتزلةُ لهم تفاسير، مثل: تفسير الزّمخشري، وتفسير القاضي عبدالجبّار.

والأشاعرةُ لهم تفاسيرُ كثيرة، مثل: تفسير أبي السُّعود، وتفسير الرّازي، والبَيضاوي.

والمَاتُريديّة أيضاً لهم تفاسير مثل: "تأويلات أهل السُّنة" لأبي منْصور الماتريدي، وتفسير النّسَفي.

والصُّوفيّة لهم تفاسير، مثل "تفسير التُّسْتري" ولعلَّه أوَّل تفسيرٍ ظَهَر لهم، وهو تفسير سهل بن عبد الله التُسْتري. وتفسير السُّلَمي، وهو تفسير أبي عبد الرحمن السُّلمي، وتفسير القُشَيري.

وتفسيرُ الألوسي "رُوحُ المَعاني"، ويَستخدم التّفسير الإشاري، ويَجعل للقُرآن ظَاهراً وباطناً! ويَسوقُ كثيراً من الشَّطَحات الصّوفية.

والإماميّة لهم تفاسير مثل: تفسير الطّبَرْسي، وتفسير الطّوسي وغيرها.

فهؤلاء كلّهم قد فَسّروا القُرآن مِنْ جهة العقيدةِ التي يَدينون بها، والمَنْهجِ الذي يسيرون عليه، وقد يكونُ لهم اعتناءٌ بأشْياء أخَر، مثل الاعْتناء بالفِقْه، واللّغة، والبيان ...الخ.

وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية فيهم: "وما مِنْ تفسيرٍ مِنْ تفاسِيرهم الباطلة؛ إلا وبُطلانه يَظْهر مِنْ وُجُوهٍ كثيرة، وذلك مِنْ جِهتين: تارةً مِنَ العِلم بفَسادِ قولهم، وتارةً مِنَ العِلم بفسادِ ما فسّروا به القرآن، إمّا دليلاً على قولهم، أو جَواباً على المُعارض لهم". "أصُول التفسير".

* **المدرسَةُ الثانية:** مدرسةُ التَّفسير المُوسُوعي: ونَعني به الذي لمْ يَشْترط صاحبه في تفسيره على نفسِه نوعاً مِنْ أنواع العُلُوم، بل تَجدُه يَطْرق كلّ عِلْمٍ منْ عُلُوم التّفسير وغيره، فهو يُفسّرُ القرآن بالأثر، ويُفسّره بأسْباب النُّزول، ويُفسّره باللُّغة، ويُفسّره بالأحْكام الفِقْهية، ويفسّره بالعُلوم المُختلفة، بالتاريخ، وبالفلك، وبالرياضيات إلى آخره... ومِنْ أشْهر التفاسير التي تنتمي إلى هذه المدرسة:

تفسير "مفاتيح الغيب"، لفَخْر الدّين الرازي، وتفسير الآلوسي "روح المعاني"، فإنّهم جَمَعوا فيها كلّ شيء، حتى قيل عن تفسير الرازي: فيه كلُّ شيءٍ إلا التَّفسير؟!

* **المَدرسة الثالثة:** التَّفاسير اللُّغَوية: وهذه يَعتني أصْحابها بالنّحْو، والإعْراب، واللغة:

مثل: تفسير أبي حيّان الأندلسي "البَحر المُحِيط"، وتفسير ابن عطيّة في كتابه "المحَرّر الوَجيز"، ومثل: "إعراب القُرآن" للنّحاس، وأشْباه هذه الكتب.

المدرسة الرابعة: التفاسيرُ الفِقْهية، أو تفاسير أحْكام القُرآن.

وهذه المَدرسة متنوّعة بحسب المَذاهب، فالحنفيّة لهم تفاسير، والمالكية والشّافعية لهم تفاسير، وهكذا الحنابلة.

فمِنْ تفاسير الحنفيّة في ذلك: "أحْكام القُرآن" للجصّاص.

وللمالكية: "أحْكام القرآن" لابن العربي، "وأحْكام القرآن" للقُرطبي.

ومن تفاسير الشافعية: "أحْكام القرآن" لإلكيا الهَراسي.

وللحنابلة "أحكام القرآن" لعبد الرزاق الرسْعَني، و"أحكام القرآن" لابن عادل الحَنبلي.

*** المَدَارس المُعاصرة:**

هي مَدارسُ استنّتْ بالمَدارس القَديمة، وقد اهتمّتْ بجَوانب مُتعدِّدة، فمنْهم مَنْ نَظَر إلى الأحْكام الفِقهية، كتفسير "أضْواء البَيان في إيضَاح القُرآن بالقرآن" لمحمد الأمين الشَّنْقيطي، فإنّه اعْتَنى بالفِقهيات جدّاً.

ومنْهم مَنْ اعْتَني باللُّغويات: كتفسير "التّحرير والتّنوير" للطّاهر بن عاشور.

ومنهم مَنْ اعْتني بنشر العَقيدة السّلفية: كأضْواء البيان، وتفسير السّعْدي، وتفسير أبي بكرٍ الجَزائري.

ـ منهم مَنْ اعْتَني بنَشر العَقائد الباطلة، كتفاسير الإماميّة، وتفاسير الإباضِيّة، وتفاسير الخَوارج ... إلى غير ذلك.

فكلُّ مدارس التفاسيرُ القديمة، جاءتنا مِنْ جديد، ولكنْ بأسْلوبٍ عَصْري، وأسْماء جديدة.

وهذا ممّا يَدعونا لبيان أحْسنِ الطُّرق؛ لتفسير كتاب الله العظيم.

*** أحْسَنُ الطُّرقِ لتَفْسير القُرآن العَظيم:**

قد أبَان العلماءُ عن أحْسَنِ طُرِقِ التَّفْسير، وأنّ أوّلها وأحْسَنها:

تَفْسيرُ القُرآنِ بالقُرآن:

فقد تكفّلَ اللهُ ببيانِ القُرآن، وتفصيله وإيضاحه، الذي هو كلامه سبحانه، فقال تعالى: (وكذلك نُصرّف الآياتِ وليقُولُوا دَرَستَ ولنُبينه لقومٍ يَعلمون) الأنعام: 105.

وقال سبحانه: (قد فصّلنا الآياتِ لقَومٍ يذّكرون) الأنعام: 126.

وقال تعالى: (كتابٌ فصّلَت آياته) فصلت: 3، أي: بُيّنت، وأُزيلَ عنها الإجْمال، فلو كانتْ آياتُه مُجْمَلة، غير واضِحة، لمْ تكنْ قد فُصّلت.

ومِنْ بيانِ القرآن؛ ما جاء في القرآن نفسِه، إذْ أنّ تفْسَير القُرآن بالقرآن؛ منْ أصحّ طُرق التّفسير، كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة: "أصُول التفسير".

وقال الإمام ابن القيم: "وتفسير القُرآن بالقُرآن، مِنْ أبلغِ التَّفاسير". "التبيان في أقْسَام القرآن. (ص: 187).

ولا عجبَ في ذلك؛ لأنّ قائلَ الكلام؛ هو أدْرى بمَعانيه، وأهْدافه ومَقاصده مِنْ غيره، وقد فسّر النَّبيّ صلى الله عليه وسلم كثيراً مِنَ الآياتِ بآياتٍ أخْرى، تَنْبيهاً منه إلى أهميّة هذا العلم، وهذا الطّريق العظيم المُسْتقيم.

وقد نُقلَ أيضاً عن الصّحابة رضي الله عنهم، وعن التابعين وأتباعهم منْ ذلك الشّيء الكثير، وفي ذلك دليلٌ أيضاً على أهميته في التّفسير، ولذا لا يَجوز الانتقالُ مِنْ هذه المرحلة إلى غيرها؛ إذا صَحّ شيء مِنْ ذلك.

فالناظرُ في القُرآن؛ يُشاهد فيه الإيجاز والإطْناب، وفيه الإطْلاق والتقييد، والعام والخاص، ولذا كان لِزاماً على مَنْ أراد أنْ يَخوضَ غِمارَ التفسير؛ أنْ يَبدأ قبل كلّ شيء في جَمْع كلّ ما تكرّر مِنْ ذِكر الحُكم الشرعي، أو الحادثة، أو القِصّة في القرآن، ويُقابل الآيات بعضها ببعض، ليَستعينَ بما جاءَ مُفصّلاً مُسْهباً؛ على معرفة ما جاء موجزاً، ويَفهم ما جاء مُبْهماً بواسطة ما جاء مُبيّناً، وبهذا يكون قد فسّر القرآن بالقرآن.

*** أمّا طريقة الوصُول إليه:** فله طَريقان:

الأول: الوَحْي: وله صُورتان:

1- ما جاءَ صَريحاً وواضِحاً في القرآن نفسِه، كمثل: (اهْدِنا الصّراطَ المُسْتقيم) الفاتحة: 6، فقد فسّر الصّراط المستقيم بقوله بعدَه: (صِراطَ الذينَ أنْعمتَ عليْهمْ غيرِ المَغضوب عَليهمْ ولا الضّالين) الفاتحة: 7.

وكقوله تعالى: (وما أدْراك ما الطّارق* النّجْم الثاقب) الطارق: 2-3.

وكقوله تعالى: (قالَ فرعونُ وما ربّ العَالمين* قالَ ربُّ السّماواتِ والأرضِ وما بينهما إنْ كنتُم مُوقنين) الشعراء: 23-24.

وغيرها مِنَ الآيات.

2-ومنه: ما جاءَ عن النّبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، كما سيأتي.

الثاني: الرأي والاجْتهاد، فقول المُفسّر: هذه الآية تفسّرها هذه الآية، هو مِنْ قبيل الاجْتهاد، وهو يَخضعُ للاجْتهاد والنّظر والمُناقشة، فربط المُفسّر بين الآيتين؛ إنّما هو عن طَريق الفهم، وإعْمال الذِّهن، وتقليب النّظر في كتابِ الله بالتدبّر.

*** حُجيّة تفْسِير القُرآن بالقُرآن:**

ونقصدُ بهذا أنّه: هل يعني قولنا: إنّه أصَحّ طُرق التفسير، أنّه يُقبل مُطْلقاً؟

فربّما يفهم أحدٌ مِنْ هذه العبارة ذلك، والواقع خِلاف ذلك، إذْ لا نقولُ بحجيّته مُطلقاً، ولا نَردّه مُطْلقاً، بل له أحوالٌ تَرجع إلى مَنْ قام بالتفسير.

فإنْ كان المُفسّر هو النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وصحَّ ذلك عنه، فهو حُجّةٌ قاطعة، لأنّه وحيٌ مِنْ عندِ الله، قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتُبيّنَ للناسِ ما نُزّلَ إليهم) النحل: 44.

أمّا إنْ كان المُفسّر هو الصّحابي، فيَجري عليه ما يَجري في حُكم تفسيرِ الصّحابي، وكذا التابعي ومَنْ بَعده، لأنّ تفسيرَ القرآن بالقرآن، نوعٌ من التّفسير، وجزءٌ منه.

لذا نجدُ أهلَ التفسير يُخالفُ بعضُهم بعضاً في تفسير الآيات، فشيخ المُفسرين ابنُ جرير مثلاً ينقلُ عن التابعين تفاسيرهم، ثمّ يختارُ منها؛ ما يراه أنّه هو الصّواب، والأقربُ لتفسير الآية.

فمثلاً: خالفَ مجاهداً عندما فسّر قوله تعالى: (ثمّ السّبيل يسّره) عبس: 20، بقوله تعالى: (إنّا هَديناه السّبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً) الإنسان: 3.

إذْ قال: "وأولى التأويلين بالصّواب، قول مَنْ قال: ثمّ الطريق، وهو الخُروج مِنْ بطن أمّه يسّره ...قال: لأنه أشبهها بظاهر الآية".

*** أمثلة لمَصادر تفسير القُرآن بالقرآن:**

فكما ذَكرنا أنّ لتَفسيرِ القرآن بالقرآن أربعة مَصادر:

الأول: التفسيرُ النّبوي: وهو أعلى مَصادر تفسير القُرآن بالقرآن، ومِنْ أمثلته:

1-ما رواه البخاري في كتاب التفسير (4629) ورواه مسلم (114/1) برقم (197): من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لمّا نزلت: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الأنعام:82. شقّ ذلك على أصْحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أيُّنا لا يَظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس هو كما تظنون، إنّما هو كما قال لقمان لابنه: (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) لقمان :13.

قال الزركشي: فحمل النبي صلى الله عليه وسلم الظلم ههنا على الشرك، لمقابلته بالإيمان، واسْتأنس عليه بقول لُقمان الحَكيم.

2-ما رواه البخاري في كتاب تفسير القران (4474): من حديث أبي سعيد بن المعلى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "(الحمدُ لله ربّ العالمين) هي السَّبْعُ المَثَاني، والقُرآنُ العَظِيم الذي أوتُيته".

وفيه إشارةٌ إلى آية سورة الحِجر المكية: (ولقدْ آتيناكَ سَبعاً مِنَ المَثَاني والقُرآن العَظيم) الحجر: 87.

3-ما رواه الإمام البخاري في مواضع أخرجها في كتاب التفسير (4627): من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النّبي صلى الله عليه وسلم: "مفاتحُ الغيبِ خَمسٌ، ثم قرأ: (إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ وَمَا تَدۡرِى نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدًا وَمَا تَدۡرِى نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ) لقمان: 34.

ففي هذا الحديث تفسيرٌ لآية الأنعام: (وعنْدَه مَفَاتحُ الغَيبِ لا يَعْلمُها إلا هُو) الأنعام: 59، بآية لقمان: (إنّ الله عنده علمُ السّاعة وينزّل الغَيث ..) لقمان: 34.

الثاني: ما ذُكر عن الصّحابة مِنْ ذلك: وهم في المرتبة الثانية، ومِنْ أمثلته:

1-ما رواه ابنُ جرير بإسناده (69/30): عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (وإذا النُّفوس زُوّجت) التكوير: 7. قال: هم الرّجلانِ يَعْملان العَمَل، فيَدخلان بهِ الجنّة، وقال: (احشُروا الذينَ ظلموا وأزواجهم) الصافات: 22. قال: ضُرباءهم.

وفي رواية فسّرها بآية: (وكنتُمْ أزواجاً ثلاثة...) الواقعة: 7.

قال ابنُ جرير بعد ذِكْره للقولين في المسألة: "وأولى التأويلين في ذلك بالصّحة؛ الذي تأولّه عمر بن الخطاب، للعلّة التي أعتلّ بها... وذلك لا شكّ الأمْثال والأشْكال في الخَير والشّر، وكذلك قوله: (وإذا النُّفُوسُ زُوّجت) بالقُرَناء، والأمْثال في الخَير والشّر".

2-ما رواه ابن جرير بإسناده (30/ 130): عن الحَسن بن علي رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى: (وشاهد ومشهود) البروج: 3. فقال: الشّاهد مُحمّد، ثم قرأ: (فكيفَ إذا جِئنا مِنْ كلّ أمّة بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) النساء: 41.

والمَشْهود: يوم القيامة، ثم قرأ: (ذلكَ يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلكَ يومٌ مشهود) هود: 103.

3-ما رواه ابن جرير بإسناده: عن ابن عباس (30/ 41) في تفسير قوله تعالى: (فأخَذَه اللهُ نكالَ الآخرة والأولَى) النازعات: 25. قال: أمّا الأُولى فحينَ قال: (ما عَلِمتُ لكم مِنْ إلهٍ غيري) القصص: 38. وأما الآخرة فحين قال: (أنا ربُّكم الأعْلى) النازعات: 24.

وابن عباس رضي الله عنهما هو أشْهرُ مَنْ اسْتعملَ هذا الطّريق مِنَ الصّحابة، ونُقلَ عنه مِنْ ذلك الكثير، كما في كتاب تفسير ابن جرير على سبيل المثال، ومَن نقل عنه فيما بعد.

4-مارواه ابن جرير (186/1) بإسناده: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: في قوله تعالى: (أمَتّنا اثنتين وأحْييتنا اثنتين) غافر: 11. قال: هي كالتي في البقرة: (كنتُم أمواتاً فأحياكم ثُمّ يُميتكم ثُمّ يحييكم) البقرة: 28.

الثالث: التَّابعُون وأتْباعهم: وهم في المرتبة الثالثة.

فمن طُرق التّفسير المُعتبرة: تفسيرُ القرآن بأقوالِ التابعين، والأخذ عن التابعين واتّباعهم؛ له أصلٌ في القرآن؛ فإنّ الله تعالى قد أثْنى على أصْحاب نبيّه صلى الله عليه وسلم مِنَ المُهاجرين والأنصار، وبيّن ما أعدّ لهم منَ الثوابِ العظيم، الذي يدلّ دلالة بيّنة على هدايتهم، ورضا الله عزّ وجلّ عنهم.

ثمَّ ذَكَر التابعين لهم، واشْتَرط عليهم شَرطاً؛ مَن أتى به؛ كان مع أصْحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أن يتّبعهم بإحْسان، كما بيّنه قول الله تعالى: (والسّابقون الأولُون مِنَ المُهاجرين والأنْصار والذين اتَّبَعُوهم بإحسانٍ رضِيَ الله عنْهم ورضُوا عنه وأعدَّ لهم جناتٍ تجري تحتَها الأنْهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوزُ العظيم) التوبة: 100.

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره: عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنّه أتاه رجلٌ فذكرَ بعضَ أصحابِ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم ورضي عنهم، كأنّه يتنقَّصُ بعضَهم؛ فقال ابن عبّاسٍ: (والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والّذين اتّبعوهم بإحسانٍ) أمّا أنت؛ فلمْ تتّبعهم بإحْسانٍ.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "خيرُ الناسِ قَرني، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم". متفق عليه.

وروي نحوه من حديث عمران بن الحصين، وحديث النعمان بن بشير، وغيرهما.

فمن شُهد له بإحْسان الاتباع للصّحابة؛ فهو إمامٌ مِنَ أئمّة الدّين، يُعتبرُ تفسيره للقرآن، ويُحتجّ بروايته، ويُؤتَسَى به، بالشّروط المُعْتبرة عند أهلِ العلم المُحقّقين، وهي: أنْ لا يُخالف قولُه نصّاً، ولا قولَ صحابيّ، ولا يُخالفه أهلُ العلم مِنَ التابعين.

*** وقد عُرفَ بالإمامة في التَّفسير، جماعةٌ مِن التابعين منهم:**

الربيع بن خثيم الثوري، ومسْروق بن الأجْدع الهمْداني، وعبيدة بن عمرو بن قيس السلماني، وزِرُّ بنُ حُبَيشٍ، وأبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي، وأبو العالية رُفيع بن مهران الرياحي، وسعيد بن المسيب المخزومي، وسعيد بن جبير الأسدي، ومجاهد بن جبر المكي، وعكرمة البربري مولى ابن عباس، وغيرهم.

ثانيا: تفْسِير القرآن بالحَديث الصّحيح:

تفسيرُ القرآن بالحَديث الصّحيح مُهمٌّ جدًّا؛ لأنّ الرسُول صلى الله عليه وسلم أعلمُ بمُراد الله تعالى من غيره من الناس جميعاً، فهو كما قال الله تعالى عنه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) النجم: 3.

وقد أنزله اللهُ عليه ليُبينه للناس، قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) النحل: 44.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا وإنِّي أُوتِيتُ القرآنَ، ومثلَه مَعه". حديثٌ صحيح، رواه أبو داود وغيره.

*** والأمثلة على ذلك كثيرة، منْها:**

1 - قولُ الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) الأنفال: 60.

فتفسير "القوة" ورَد في قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا إنَّ القُوةَ الرميُ.. (ثلاثًا). رواه مسلم.

قال القرطبي: "إنَّما فسّر "القوة" بالرّمي؛ وإنْ كانت القُوة تظهرُ بإعدادِ غيره مِنْ آلاتِ الحَرب؛ لكون الرّمي أشدُّ نكايةً في العَدو، وأسْهل مَؤنة، لأنَّه قد يَرمي رأسَ الكتيبة فيُهاب؛ فيَنْهزم مَن خلفه". شرح النووي (13/ 64).

2 - ومثال آخر: قوله تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) يونس: 26.

فقد فسّر النبيّ صلى الله عليه وسلم "الزِّيادة": بالنّظرِ إلى وجْه اللهِ تعالى، حينما قال صلى الله عليه وسلم: "فيَكشفُ الحِجَاب، فما أُعْطُوا شيئًا أحبَّ إليهم مِنَ النّظر إلى ربّهم" ثمّ تلا هذه الآية: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)" رواه مسلم.

3 - ومثال آخر: قول الله تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) القلم: 42.

فقد روى البخاري في كتاب التفسير: عند تفسير هذه الآية الحديث الآتي: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "يكشفُ ربُّنا عن ساقه، فيَسجد له كلُّ مُؤمنٍ ومؤمنة، ويبقى مَنْ كان يسجدُ في الدنيا رياءً وسُمعة، فيذهبُ ليسجُد؛ فيعود ظَهْره طبقًا واحداً". التفسير: باب: يوم يكشف عن ساق (4919).

ولا يلزم منه تشبيهٌ ولا تَجْسيم، فإنه تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فأهلُ السُّنّة والجَماعة يُثبتون ما أثبتَ الله لنفسه، كاليدين والوجه والسّمع والبصر، وما أثبته له رسُوله صلى الله عليه وسلم، كالسّاق والأصَابع والقَدم، على ما يليق بجلاله، ولا نعلم كيفيتها.

4 - ومثال آخر يُمكن أنْ يُذكر هاهنا: ما روى البخاري في كتاب التفسير (4629) ومسلم (124) واللفظ له: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لمَّا نزلت: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) الأنعام: 82، شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أيُّنا لا يَظلم نفسَه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس هو كما تظنّون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: (يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) لقمان: 13.

قال الحافظ في "الفتح": لمْ يَلْبسوا: أي لمْ يَخلطوا.

ومن فوائد الآية والحديث: أنّ درجاتِ الظُّلم تتفاوت، وأنّ المعاصي لا تُسمّى شركًا، وأنّ مَنْ لمْ يُشرك بالله شيئاً؛ فله الأمن وهو مُهتدٍ. ذكره الحافظ في الفتح.

ثالثاً: تفسيرُ القرآنِ بأقوال الصّحابة:

إن تفسير الصّحابة رضي الله عنهم؛ كابن عباس، وابن مسعود، والخلفاء الأربعة، وأُبي بن كعب وغيرهم، مُهِمٌ وعظيم في هذا الباب؛ لأنَّهم صَحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعلَّموا منه.

ولمَّا كان النَّبي صلى الله عليه وسلم هو المبَيّنُ أصحابه؛ كان هو المَرجع الأول في تبيين الكتابِ العزيز، فما أشْكلَ عليهم، أو احْتاجوا لبيانه وتفسيره مِنْ آيات القرآن؛ هَرعوا إليه وسَألوه؟ فبيّن وفسّر لهم ما سألوا عنه، بكلامٍ وتفسيرٍ شَافٍ كاف.

وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم واتّساع البلاد، ودُخول الناس في الإسْلام أفواجاً، ودُخول العُجْمة، احتاج المسلمون لشَرح ما لمْ يكنْ الصّحابة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بحاجةٍ إلى شَرْحه، من الكتاب والسُّنة، فتوجهوا إلى الخُلفاء الراشدين، وكبار الصّحابة، لسُؤالهم والاسْتيضاح منهم.

*** أهميّةُ تفسيرِ الصّحابة:**

وتظهرُ لنا أهميّة تفسيرِ الصَّحابة للقرآن: إذا عَلِمنا أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم بيّن لأصْحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألْفاظه، ولا يحصلُ البيان والبلاغ المقصود إلا بذلك، قال تعالى: (لتبيّن للناسِ ما نُزّل إليهم) النحل: 44، وقال: (هذا بيانٌ للناس) آل عمران: 138.

وقال تعالى: (وما أرسلنا منْ رسولٍ إلا بلسان قومه ليُبيّن لهم) إبراهيم: 4.

وقال تعالى: (فإنّما يسَّرناه بلِسَانكِ لعلّهم يّتذكّرُون) الدخان: 58.

وقال تعالى: (وما على الرّسُول إلا البَلاغ المُبين) العنكبوت: 18. وهذا يَتضمّن بلاغ المَعنى، وأنّه في أعْلى درجاتِ البيان.

وقد قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي، وهو أحدُ أكابر التابعين، الذين أخَذُوا القُرآن ومعانيه، عن مِثْل: عبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفّان، وتلك الطّبقة، قال: "حدّثنا الذين كانوا يُقرؤوننا القُرآن مِنْ أصْحاب النّبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنّهم كانوا إذا تعلَّمُوا مِنَ النّبي صلى الله عليه وسلم عشرَ آيات؛ لمْ يُجاوزُوها حتى يتعلّموا ما فيها مِنَ العِلْم والعَمل، فتعلّمنا القُرآن والعمل".

أخرجه ابن أبي شيبة (29920) وأحمد (5/410) والفريابي في فضائل القرآن (169) بإسناد صحيح.

فالصّحابة أخذوا عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم ألفاظَ القرآن ومَعانيه، بل كانت عنايتهم بأخذ المعاني أكثر مِنْ عنايتهم بالألفاظ، فيأخذون المعاني أولاً، ثم يأخُذون بحِفْظ الألفاظ، ليَضْبطوا بها المعاني، حتى لا تشذّ عنْهم، ولذا كان الواحد منْهم يَمضي سنين طويلة في تعلّم القرآن، فأمْضى ابن عمر رضي الله عنهما ثماني سنين في تعلّم سُورة البقرة.

وكذا إذا علمنا أنّ الصّحابةَ قد سَمعوا مِنَ النبي صلى الله عليه وسلم مِنَ الأحاديث الكثيرة، ورأوا منه مِنَ الأحْوال المُشاهدة، وعَلِموا بقلوبهم مِنْ مقاصده، ودَعوته، ما يُوجب فهم ما أراد بكلامه، ما يتعذّر على مَنْ جاء بعدهم؛ مساواتهم فيه، فليس مَنْ سَمِعَ وعلم ورأى حال المُتكلّم، كمن كان غائباً، لمْ ير، ولمْ يَسْمع، وعلم بواسطة، أو وسائط كثيرة.

فإذا كان للصّحابة منْ ذلك ما ليس لمنْ بعدَهم؛ كان الرُّجوع إليهم في ذلك دُون غيرهم؛ متعيّناً قطعاً.

ولهذا كانَ اعتقادُ الفِرْقة النّاجية هو: ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصْحابه، كما شَهِد لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك، في قوله: "مَنْ كانَ على مِثْل ما أنا عليه وأصْحابي".

أخرجه الترمذي (2641) واللفظ له، والطبراني (14646)، والحاكم (444).

*** والأمثلة على ذلك كثيرة:**

منها:

1- قولُ الله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) طه: 5.

قال الحافظ في "الفتح": ونقل مُحْي السُّنة البغويُّ في "تفسيره" عن ابن عباس وأكثر المفسرين أنّ معناه: ارتفع.

ثم نقل قول أمّ سلمة رضي الله عنها، وربيعة ومالك وغيرهم: "الاسْتواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غير معقول، والإقرارُ به إيمان، والجُحود به كفر". (13 / 406).

2 - مثال آخر: في قول الله تعالى: (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) النساء: 43.

فقد نقل ابنُ كثير في "تفسيره" عن ابن عباس، قال: الجماع.

وقال ابن عباس أيضًا: "اللّمس"، و"المَسُّ"، و"المباشرة": الجِماع، ولكنّ الله يُكني بما يشاء.

وقال ابن كثير: وقد صَحَّ منْ غير وجهٍ عن عبد الله بن عباس أنَّه قال ذلك. ثمّ ذكر قول ابن مسعود: قوله: اللمس: ما دُون الجِماع.

ثم ذكر ابنُ كثير قولَ ابن جرير: وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: عَنَى الله بقوله: (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ): الجماع دون غيره من معاني اللّمس؛ لصحّة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قبَّل بعض نسائه ثم صَلى ولم يتوضأ". تفسير ابن كثير: (1/ 502).

*** إذا تعارضتْ أقوالُ الصحابة:**

إذا تعارضَ تفسيرُ الحديث النّبوي لآية، مع تَفْسيرِ صَحابيٍّ أو تابعي، فعلينا أنْ نُوفّق بينَ التّفسيرين، وإنْ لمْ يُمكن، فالواجبُ أنْ نُقدمَ تفسيرَ الرسول صلى الله عليه وسلم على تفسيرِ غيره، مهما كان؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أعلمُ بمُراد الله مِنْ غيره، فهو الذي لا يَنْطقُ عن الهَوى، والله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) الحجرات: 1؛ أي: لا تُقدِّموا قولاً أو فعلًا. ابن كثير.

ويمكن أنْ يُقال: إنَّ الصّحابي لمْ يَبلغه الحديث الذي فسرَّ الآية، كما ثبتَ في "الصّحيح": أنَّ أبا موسى حين استأذن على عُمر ثلاثًا فلمْ يُؤذن له انْصَرف، ثمّ قال عمر: ألَمْ أسْمع صَوتَ عبد الله بن قيس يستأذن؟! ائْذَنوا له. فطلبُوه فوجدُوه قد ذَهب، فلما جاء بعد ذلك قال: ما أرْجعك؟ قال: إنّي اسْتأذنتُ ثلاثاً ولمْ يُؤذَن لي، وإني سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: "إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثًا ولم يُؤذن له، فلْيَنْصرف". فقال عمر: لتأتيني على هذا ببيّنةٍ، وإلا أوجعتك ضَرباً، فذهبَ إلى ملأٍ مِنَ الأنصار، فذكرَ لهم ما قالَ عمر، فقالوا: لا يشهدُ لك إلا أصْغرنا، فقام معه أبو سعيدٍ الخُدْري فأخبر عمر بذلك، فقال: ألْهاني عنه الصَّفقُ بالأسواق. متفق عليه.

رابعاً: تفسيرُ القُرآن بأقْوال التّابعين:

إنّ تفسيرَ القُرآن بأقوالِ التابعين رحمهم الله مُهِم أيضاً كما ذكرنا؛ لأنّهم أخَذُوا عن الصّحابة، الذين أخذُوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

1 - مثال ذلك: ما ذكره البخاري في كتاب التوحيد: قال أبو العالية: (اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ) البقرة: 29؛ أي: ارتفع. وقال مجاهد: استوى: علا على العرش. (8/ 175).

وقد فسّرها الطبري بالعُلّو، بعد أنْ ذكر أقوالًا كثيرة؛ حيثُ قال: "وأولى المَعاني في قولِ الله عَزَّ وَجَلَّ: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ): علا تباركَ وتعالى عليهنَّ، فدبّرهنَّ بقُدرته، وخَلقهنَّ سَبع سماوات.

ونقل عن الربيع بن أنس: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ) يقول: ارْتفع إلى السّماء. تفسير الطبري (8/ 175).

خامساً: تفسير القرآن باللّغة العربية:

تفسير القرآن باللغة العربية بابٌ مهمٌ عظيم، فإنّ القرآن الكريم نزَل بلسانِ العَرب، كما قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) الشعراء:192-195.

فإذا لمْ نجد التّفسير فيما ذَكرنا سابقاً، فإنّنا نرجع إلى مُقتضى اللّسان العربي، لقول الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يوسف: 2.

وما كان مُخالفاً للغة العرب، وما جَرى به لسانهم؛ فهو مردودٌ غيرُ مقبول.

1 - مثال ذلك ما نَقله الحافظ ابن حجر في "الفتح" عن ابن بطّال قال: "اختُلِف في الاسْتواء المذكور هنا – أي: في آية: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ) البقرة: 29- فقالت المعتزلة: معناه: الاسْتيلاء بالقَهْر والغَلَبة؟! واحتجّوا بقول الشاعر:

قد اسْتَوى بِشرٌ على العراقِ *** مِنْ غيرِ سَيفٍ ودمٍ مِهْراق

ثم ردّ هذا القول؛ حيثُ قال:" فأمَّا قولُ المعتزلة فإنَّه فاسدٌ، لأنّه لمْ يزل قاهراً غالباً مُسْتولياً سبحانه وتعالى.

وذكر أقوالًا عديدة، ثمّ قال: "وأمّا تفسيرُ (اسْتوى): علا، فهو صحيحٌ، وهو المذهبُ الحقُّ، وقول أهلِ السُّنة؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى وَصَف نفسه بالعَلِيّ، أي: الأعلى. وقال: (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) وهي صفةٌ مِنْ صفات الذات". فتح الباري (13/ 406).

فالصّواب إذن أنْ يُقال: الاسْتواء صفةٌ منْ صفاتِ الله الفعلية، المُتعلقة بذاتِ الله تعالى، نُثبتها كما جاءت.

ثمَّ ذكر الحافظ في "الفتح" قائلًا: "وقد نقلَ أبو إسماعيل الهَروي في كتاب "الفاروق" بسنده: إلى داود بن علي بن خلف قال: كنَّا عند عبد الله بن الأعرابي- يعني محمد بن زياد اللُّغوي- فقال له رجل: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) فقال: هو على العَرش كما أخْبر. قال: يا أبا عبد الله، إنَّما معناه: اسْتولى؟! فقال: اسْكت، لا يُقال: اسْتولى على الشّيء؛ إلَّا أن يكون له مُضادّ... وقال غيره: لو كان بمعنى: اسْتولى؛ لمْ يختص بالعَرش؛ لأنَّه غالبٌ على جميعِ المخلوقات". (13/ 406).

والعجيب أنَّ الأشَاعرة أخَذوا عن المُعتزلة تفسير (اسْتوى) بمعنى اسْتولى، وفَشَا هذا في بعض كتبهم في التفسير والتوحيد، وشاع في أقوال الناس، فأنْكروا العلوَّ لله عَزَّ وَجَلَّ كما دلّت عليه الآيات الكريمة، والأحاديثُ الصّحيحة، وأقوال الصّحابة والتابعين، والأئمّة المُجتهدين، حتى خالفوا اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم؟!

وقد جمع الإمام الذّهبي كتاباً في ذلك؛ سمّاه: "العلو للعليّ الغفار"، جَمَع فيه أقوالَ الأئمة من التابعين فمن بعدهم، وأهل اللغة والحديث والفقه وغيرهم، وقد طُبع بتحقيق العلامة الألباني رحمه الله.

2 - ومنَ التفسير باللّغة العربية: ما حَكَاه الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) الأنبياء: 52.

ومعنى (التماثيل): الأصْنام، كما في تفسير "فتح القدير" (12/ 411) للشوكاني؛ حيثُ قال: "والتماثيل: الأصْنام، وأصل التّمثال: الشّيء المَصْنوع مُشابهاً لشيءٍ مِنْ مخلوقات اللهِ سبحانه، يقال: مثَّلتُ الشيء بالشيء إذا جَعلتُه مشابهاً له، واسم ذلك الممثَّل تمثال".

والأصْنام التي كان المُشركون يعبدونها تمثل الأولياء، والدليل:

أ – ما روى البخاري في التفسير (4920): عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) نوح: 23، قال: صارت الأوثانُ التي تُعبد في قوم نوحٍ في العرب بعد، أمّا ودّ... ثمّ قال: أسْماء رجال صالحين منْ قوم نوح، فلمّا هلكوا أوحَى الشيطانُ إلى قومهم؛ أنْ انْصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنْصاباً، وسمُّوها بأسْمائهم، ففعلوا فلمْ تُعبد، حتى إذا هَلَك أولئك، ونُسخ العلم عُبدت. (أي: تلك الأصنام).

ومعنى: "نُسخ العلم" أي: نُسِي عِلم تلك الصُّور بخُصُوصها.

ب - وروى البخاري (4859): عن ابن عباس في قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى) النجم: 19، قال: كان اللاتُ رجلًا يلتُّ سَويق الحاج.

ولذلك سمّاهم الله تعالى بالأولياء في كثيرٍ مِنَ الآيات، منها: قوله تعالى: (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) الشورى: 9.

ومنْ هذا التفسير تَعْلم: أنَّ المُشركين الذين وردَ ذكرهم في القرآن، كانوا يَدْعون أصْناماً مِنَ الحِجارة؛ لكن كانت تمثّل رجالًا صالحين، عُبدوا مِنْ الله تعالى كما تقدّم.

3 - ومن التفسير باللغة العربية: قول الله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ) محمد: 19، فالإله: معناه المَعبود، فيكون معناها: لا معبودَ إلا الله، ولما كانت المعبودات من دون الله كثيرة، كالأصنام والأشجار والحيوان، والإنس والجان، كان لا بدّ مِنْ إضافة كلمة (حق) على التفسير، فيصبح معناها: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله، وبذلك خرجتْ جميعُ المَعبودات الباطلة كلّها.

والدليل على هذا التفسير قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ) لقمان: 30.

ومنْ هذا التفسير لمعنى "الإله"؛ يتبيّن خطأ كثيرٍ مِنَ المسلمين، الذين يُنْكرون عُلُوَّا لله عَزَّ وَجَلَّ فوقَ عرشه، ويستدلّون لذلك بقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ) الزخرف: 84، ولو عَرفوا معنى "الإله" لما اسْتدلوا بالآية؛ لأنّ الإله معناه: المَعبود كما تقدّم، فيكون معناها: وهو الذي في السَّماء معبود، وفي الأرضِ معبود.

- ومِنَ الخَطأ أيضاً: ما يقوله كثيرٌ مِنَ المُسْلمين: مِنْ أنَّ معنى: (لا إِلهَ إلا الله) لا خالقَ ولا رازق إلا الله؟! لأنّ المشركين كانوا يَعْترفون لله تعالى بالرُّبوبية والخَلق، ولكنّهم يَعلمون أنّ "الإله" معناه المَعبود، لذلك اسْتكبروا عن قول كلمة: (لا إله إلا الله)، كما قال الله تعالى عنهم: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ* وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) الصافات: 35- 36.

4 – وأيضاً: معرفة قواعد اللّغة العربية، ممّا يُساعد على تدّبّر القرآن:

مثال ذلك: قول الله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) الفاتحة: 5.

فقدَّم المَفعول (إيّاك) مرةً على الفِعل (نَعبد) ومرّةً على الفِعل (نَسْتعين) وذلك للحَصْر والاخْتصاص، أي: لا نَعبد إلا إيّاك، ولا نَسْتعين إلا بك يا الله، ونخصُّك بالعبادة والاستعانة وحدَك.

قال ابنُ القيّم في "مدارج السالكين": "وسرّ الخَلْق والأمْر، والكتُب والشّرائع، والثّواب والعقاب؛ انتهى إلى هاتين الكلمتين: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وعليهما مَدَار

العُبودية والتوحيد، حتى قيل: أنزل اللهُ مائة كتابٍ وأربعة، جَمَع معانيها في التوراة والإنْجيل والقرآن، وجمعَ معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن... وجَمعَ معاني القرآن في الفاتحة في: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) الفاتحة: 5. "مدارج السالكين" لابن القيم.

فنسأل الله تعالى علماً بكتابه، وفقها بمعانيه، وعملاً بأحكامه، وتأدّباً بآدابه، إنّه هو السميع العليم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الخاتمة

1- علمَ تفسيرِ القرآن العظيم، مَنْ أشرفِ العُلوم الإسلامية، وأرفعها قَدراً، لارتباطه بكلام الله عزّ وجل.

2- علماءُ التفسير ليسُوا سواء؛ فلكلّ مفسّرٍ منْهم منهاجٌ ينتَهجه، وطريقٌ يسير عليه، وخُطّة يسلكها.

3- الكلام عن مناهج المُفسّرين؛ منَ العلوم المهمّة، والمفيدة للعامّة والخاصة، لمعرفة ما يتميز به كل تفسير.

4- أحْسَنِ طُرق التفسير: تفسير القرآن بالقرآن، ثمّ بالحديث النبوي الثابت، ثمّ بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين وأتباعهم، ثمّ باللغة العربية.

المصادر:

القرآن الكريم

كتب الحديث النبوي الستة وغيرها

تفسير ابن جرير الطبري

تفسير ابن كثير

أصول التفسير- مجموع الفتاوى- لابن تيمية

مدارج السالكين – لابن القيم

التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي